اسرائيل ومعضلتها الفلسطينية؛ ثقل التاريخ

Flapan, Simha; *The Birth of Israel; Myths and Realities*, New York: Pantheon Books, 1987, 277 Pages.

تبدو اعادة كتابة تاريخ نشوء دولة اسرائيل مسألة ضرورية وممكنة في آن. هي ضرورية، لأن العدد الاكبر مما هو بين أيدينا عنها بالعربية، ومن وجهة نظر عربية، تتحكم فيه الوسائل الانطباعية اجمالاً، والانحيازات غير المبررة احياناً. ومن سمات ذلك، كثرة السير الذاتية التي كتبها رجال عاشوا تلك المرحلة في مواقع الاحداث؛ وهي معالجات يصعب الأخذ بها كما هي. من هنا أهمية القاء الضوء، مجدداً، على تلك المرحلة، حتى وان لم يكن عدد منّا قد ولد قبل نهايتها؛ ذلك انها شهدت تطورات جساماً على صعيد المنطقة، ليس أقلها تمتين بنى التواجد اليهودي في فلسطين، وترسيخ أسس الكيان الاسرائيلي الذي لعبت عوامل عدة دوراً اساسياً في قيامه. وهي عملية ممكنة اليوم، لأكثر من اعتبار: فمن ناحية، تدرّب عدد كبير من الباحثين العرب على أسس ومناهج البحث العلمي التاريخي، مما يسمح، على الأقل، بمعالجة الاحداث من منظور جديد ومختلف؛ ومن ناحية أخرى، اصبحت تلك المرحلة، بالفعل، جزءاً من التاريخ، بحيث بات من الاسهل التوصل الى قدر مناسب من الرزانة والتجرد بشأنها، بعكس ما هو عليه التاريخ المعاصر جداً لكاتبه. ومن حسنات مرور الزمن الاخرى التمكن من الاستفادة من الوثائق الاسرائيلية التي يتم فتح ملفاتها للجمهور تباعاً، مما يسمح بالوصول الى الجزء الاكبر من الوثائق الدبلوماسية العائدة لفترة ما قبل العام ١٩٥٠، ويغطي كفاية المرحلة التي نتحدث عنها هنا.

هذه المزايا (المنهجية العلمية، التجرد، الاستفادة من الوثائق المتوفرة) تبدو واضحة في الكتاب الذي بين أيدينا، والذي يتناول، أساساً، ولادة دولة اسرائيل. ومؤلف الكتاب، الذي نحن بصدده، ممارس «محترف» لهذه المزايا، وليس ذلك غريباً. ان سمحا فلابان، الذي غادرنا قبل عام ونيف تقريباً، هو مؤسس معهد ابحاث السلام الاسرائيلي، ورئيس تحرير مجلة «نيو آوت لوك» ذائعة الصيت.

يتوزع كتاب «ولادة اسرائيل؛ الاساطير والحقائق»، على سبعة فصول، تعبّر، في مجملها، عن سبعة قضايا هامة، هي باختصار:

١ ـ كان القبول الصهيوني بقرار التقسيم الصادر عن هيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، تسوية بعيدة المدى من قبل التجمع اليهودي للتخلي عن مفهوم الدولة اليهودية على كامل التراب الفلسطيني، والاعتراف بحق الفلسطينيين في اقامة دولتهم الخاصة؛ وان اسرائيل ارتضت هذه «التضحية»، للتعجيل، فقط، بالوصول الى حل يضمن السلام والتعاون مع الفلسطينيين. غير ان هذه الخطوة ـ كما يذهب فلابان الى التأكيد ـ لم تكن سوى موقف تكتيكي في اطار الاستراتيجية العليا؛ تلك الاستراتيجية التي استهدفت، في بادىء الامر، الحؤول دون اقامة دولة فلسطينية من خلال اتفاق سري مع الملك عبدالله، الذي كان يطمح الى ضم تلك الاراضي المخصصة لاقامة الدولة الفلسطينية، كخطوة لا بد منها نحو تحقيق حلمه في اقامة سوريا الكبرى؛ كما استهدفت، تالياً، زيادة مساحة المناطق التي خصصت للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم.

٢ ـ رفض الفلسطينيون، اجمالاً، قرار التقسيم، واستجابوا، اجمالاً، لنداء مفتي القدس، الحاج أمين